ويليام كامكوامبا
" الفتى الذي سخر الريح "

"ويليام كامكوامبا" شاب أفريقي مُلهم استطاع عبر استخدام أقل الإمكانات المتاحة في قريته الصغيرة في مالاوي من صنع وآبتكار طاحونة هواء لتوليد الطاقة، والتى قلبت بلاده رأساً على عقب، وغير تاريخها للأبد، فقد استطاع بمجموعة من كتب العلوم القديمة، و بعض قطع الحديد البالية، وقطع جرار مهمل، وعجلتي دراجة هوائية محطمة، و مخزن من الفضول والتصميم، اختراع معجزة صغيرة غيرت حياته وحياة كل من حوله.

ولد "كامكوامبا" في 5 أغسطس 1987، بدولة مالاوي، وكان مثل معظم الناس في قريته، يعيش على المحاصيل البسيطه التي يمكن أن تنمو هناك، وبقدوم عام 2001 شهدت مالاوي أسوأ مجاعة اضطرته لعدم الذهاب الى مدرسة، لعجز أهله عن تسديد النفقات، إلا انه لم يستسلم وفي أحد الايام ذهب الى إحدى مكتبات مدينته على بعد 4 ساعات من قريته ليطلع على كتاب في علوم الفيزياء، وبدأ يقرأ في فصل توليد الطاقة، وعندما شاهد صور طواحين الهواء التي تُولد الكهرباء قرر بناء واحدة لإنارة بيته. وهو في الرابعة عشر من عمره.

تحدث ويليام عن قصته عندما كان يبني طاحونته، حيث اتهمه كل من حوله بالجنون، لأنه لم يكن يملك المال أو الأدوات، وبعدما أضاءت طاحونته الأولى التي بناها، جاء أهل قريته لتحيته ولشحن هواتفهم النقالة، وطلبوا منه بناء طاحونة أخرى لتوليد الطاقة لتشغيل مضخات المياه وري الأرض.

وقد عبر عن ذلك قائلاً "ما بنيته في قريتي الفقيرة ليست مجرد طاحونة تحركها الرياح لتحرك تيار الكهرباء، بل هي محرك للحرية، لأننا بهذه الطاحونة نستطيع أن نخرج أنفسنا من عصور الظلام والجوع".

بلغت أول طاحونة هواء بناها "كامكوامبا" خمسة أمتار، حيث نجحت في توليد طاقة كهربائية كفاية لتوليدطاقة كهربائية كافية لتشغيل عدة مصابيح كهربائية وجهاز راديو، وأصبح مشروع طواحين الهواء الذي أسسه نواة لمشاريع التنمية الاقتصادية الريفية ومشاريع التعليم في مالاوي، سعياً لتحقيق أهداف المجتمع الاقتصادية والاستقلال الذاتي والتنمية المستدامة، وتوفير العناصر الهامة في المجتمع من الغذاء والمياه والصحة، والتعليم.

"ويليام" أعطى الجميع درسًا في الإصرار، كما شجع الطلاب الذين يسعون لإيجاد حلول للمشاكل التي تُهدد الأرض بقوله: "إذا بدأت العمل على حل، سيرى الآخرون كفاحك وسيأتون لمساعدتك، لكن إذا لم تبدأ مطلقًا فلا أحد سيأتي لمساعدتك، ولن تعلم أبدًا ماذا يمكن أن تكون النتائج".

كانت استراتيجيته المفضلة للأبتكار هي (أن تربط المشكلة الحقيقية بشيء تحب أن تفعله)، ففي طفولته كانت هوايته المفضلة هي إصلاح الراديو، والتي تطورت بعد ذلك إلى مهارات حل المشكلات، مما ساعده في تشخيص وحل مشكلات تصميم طاحونة الهواء.

ولا يزال ويليام يذكر أن تصميم الطاحونة الذي وجده في الكتاب كان يحوي ثلاثة ريش، أما تصميمه فهو يحوي أربعة لتوليد طاقة اكبر، أي أنه لم يستفد من الفكرة فحسب بل طورها أو بمعنى آخر جعلها تتأقلم أكثر مع إمكانياته والموارد التي يملكها، حيث استخدم دراجة هوائية وبعض البكرات المتوفرة، ثم قام ببناء طاحونة هواء أخرى لضخ الماء ولري المحاصيل في مدينته.

وقد لاقي مشروع "ويليام" اهتمام الزوار، حيث تفقد مشروعه الكثير من المؤسسات الصحفية مثل (The Malawi Daily Times)، علاوة على المدونين والمهندسين، ومدير برنامج مؤتمر تيد (TED Global) العالمي، والذي يقوم جمع أفكار من المفكرين والمبدعين من جميع أنحاء العالم.

وفي سبتمبر ٢٠٠٨، أصبح ويليام واحداً من٩٧ طالباً قاموا بافتتاح أكاديمية "القيادة الأفريقية"، تقع في مدينة "جوهانسبرج" الجنوب أفريقية، وتهدف إلى توفير أكاديميين للتدريب على القيادة وروح المبادرة وتعليم التصميم.

أصبح "ويليام" قبل أن يتم عمره العشرين مُلهماً لأقرانه، فقد كتب سيرته الذاتية في كتاب مع المؤلف (Mealer Bryan)، بعنوان"The Boy Who Harnessed The Wind" (الفتى الذي سخر الرياح)، ليصبح تجربة نجاح يتم روايتها لكل من لديه حلم وطموح بأنه سيصل يوماً ما إذا تشبس بالأمل والعزيمة.

واللافت للنظر أن "ويليام" استطاع أن يطور نفسه فاستخدم الطاقة الشمسية لاحقاً لبناء خزان مياه وشبكة ري، وأصبحت المنطقة التي يعيش بها تملك أول نظام ري على

الإطلاق وبدأت شهرته تتزايد إذ أن قصته انتشرت على الأنترنت انتشارًا كبيرًا، كما أصبح العديد من الأشخاص مهتمين بمساعدته.

كما قرر أن يجمع التبرعات من الأشخاص المهتمين بمساعدته لإنشاء أنظمة ري وتوليد كهرباء للمدينة بأكملها لمساعدتها للتغلب على الفقر والجوع، وأنشأ منظمة كاملة تعني بتحسين البنيه التعليمية في مدينته، فجدد من أموال التبرعات سقف مدرسته، وبنى مكتبة كبيرة في المدينة، كما أنشأ صندوقاً لدعم الطلاب الفقراء بإعطائهم منح تعليمية، وقام بتكوين فريق كرة قدم لقريته، ودعمه بكل ما يحتاج من أدوات وأموال بالكامل، وأخذ يوسع نشاطه حيث ظهر على أكثر من منصة من أجل أن يُلقي الضوء على دولته.

ولأن قصته ملهمة جدًا فقد استقبلته العديد من المنظمات فتحدث في جامعة هارفرد، وظهر على "الديلي شو" في الولايات المتحدة وفي برنامج "صباح الخير أمريكا"، كما تحدث في مؤتمر "العلوم في شيكاغو"، والمؤتمر "الاقتصادي العالمي" في "كيب تاون"، وكان في كل مؤتمر يُلقي الضوء على احتياجات قريته حتى بدأت المساعدات الغذائية والعلاجية، فالأول مرة على الإطلاق تصل الأمصال والمضادات الخاصة بالملاريا إلى قريته من جميع أنحاء العالم.

مازال "ويليام" يوفر طواحين الهواء في مالاوي، وتتمثل استراتيجيته الحالية في تعليم القرويين كيفية بناء المشاريع بأنفسهم والمحافظة عليها.

أشار "آل جور" مساعد الرئيس الأمريكي الأسبق في حديث له عن "كامكوامبا" إلى أن تجربة هذا الشاب ترينا بصورة مباشرة كيف أن شخصًا واحدًا يمكنه أن يكون شديد التأثير على الإطلاق في هذا العالم، لذا دعونا لا نقلل من أهمية تصرفاتنا، وأعتقد أنه بالنظر إلى تجربة هذا الشاب وما يواجهنا أحيانًا في هذه الحياة من مصاعب " نظن" أنها مُحبطة، لذا فإنه يتوجب علينا الشعور بالخزي على أنفسنا ومن تلك الأوقات التي قررنا فيها الاستسلام، ويقول عنه "بولو كويلر" الشاعر والكاتب البرازيلي، عندما تريد شيئًا بالفعل فإن الوجود كله يتضافر ليهيء لك الحصول عليه وأعتقد أن هذا الشاب خير مثال على ذلك بل إنه حُجة على أنفسنا عندما نقف أمامها يومًا".

أصبح وليم الآن مثالاً يُحتذى به في جميع أنحاء العالم، وعضو زمالة برنامج "Globa TED Fellow ٢٠٠٧"، والتحق بكلية "دارتموث" في "هانوفر" بالندن، كما تم ترشحيه لجوائز عالمية، حقًا إنه نموذج مشرف لأفريقيا وكل الأفارقة.

- رابط للمؤتمر الخاص بشركة (TED)، والذي تحدث تحدث فيه ويليام عن قصة كفاحه.

https://www.ted.com/talks/william_kamkwamba_how_i_harnessed_the_wind?language=ar